



الوحي

- أطلقت كلمة الوحي في أصل اللغة على معانٍ متعددة أشهرها:
- ١ - الإشارة: ومنه قوله تعالى: ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم: ١١] أي: أشار إليهم.
 - ٢ - الرسالة: قال ابن الأعرابي: أوحى الرجل، إذا بعث برسول ثقة إلى عبد من عبيده ثقة.
 - ٣ - والإلهام: قال الزجاج في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّنَ أَن مَامَسُوا فِي رَسُولِي﴾ [المائدة: ١١١]: قال بعضهم: ألهمتهم كما قال رسول الله ﷺ: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّفْلِ﴾ [النحل: ٦٨]، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَمْرَ مُوسَىٰ أَن أَرْضِعِيهِ﴾ [القصص: ٧]، ومنه قوله تعالى: ﴿إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مَا يُوحَىٰ﴾ [طه: ٣٨].
 - ٤ - والكلام الخفي: قال الكسائي: أوحيت إليه بالكلام أحي به، وأوحيت إليه، وهو أن تكلمه بكلام تخفيه من غيره، وقال ابن الأنباري في قولهم: أنا مؤمن بروحي الله، قال: سمي وحياً لأن الملك أسرّه على الخلق، وخص به النبي ﷺ المبعوث إليه، قال رسول الله ﷺ: ﴿يُوحَىٰ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: ١١٢] معناه: يسر بعضهم إلى بعض، فهذا أصل الحرف، ثم قصر الوحي للإلهام.
 - ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَيْكَ أَوَّلِيَّائِهِمْ لِيُجْنِدُوا لَكُمْ﴾ [الأنعام: ١٢١] أي: يوسوسون فيلقون في قلوبهم الجدل بالباطل.
 - ٥ - والأمر: كقوله ﷺ: ﴿أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّنَ﴾ [المائدة: ١١١] كما ذهب إلى ذلك بعض المفسرين، وكقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّبُّكُ أَوحَىٰ لَهَا﴾ [الزلزلة: ٥].
 - ٦ - والكتابة والمكتوب والكتاب: قال أبو إسحاق: أصل الوحي في اللغة كلها إعلام في خفاء. ولذلك صار

الإلهام يسمى وحياً. قال الأزهرى: وكذلك الإشارة والإيماء يسمى وحياً، والكتابة تسمى وحياً... وكل هذا إعلام، وإن اختلفت أسباب الإعلام فيها^(١).

والوحي بالمعنى الاصطلاحي:

هو أن يُعَلِّمَ الله تعالى مَنْ اصطفاه من عباده كل ما أراد إطلاعه عليه من ألوان الهداية والعلم، ولكن بطريقة سرية خفية غير معتادة للبشر^(٢).

أخرج ابن أبي حاتم من طريق عقيل عن الزُّهري: سئل عن الوحي فقال: الوحي ما يوحى الله إلى نبي من الأنبياء، فيشبهه في قلبه، فيتكلم به، ويكتبه، وهو كلام الله. ومنه ما لا يتكلم به، ولا يكتبه لأحد، ولا يأمر بكتابته، ولكنه يحدث به الناس حديثاً، ويبين لهم أن الله أمره أن يبينه للناس، ويبلغهم إياه^(٣).



أنواع الوحي

جمع أنواع الوحي قوله ﷺ:

﴿ وَمَا كَانَ لِنَبٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحياً أَوْ مِنْ وَرَائِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسولاً فَيُوحِي بِأُذُنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُمْ عَلَى حَكِيمٍ ﴾ [الشورى: ٥١].

تفيد هذه الآية الكريمة أنه: ما صح لأحد من البشر أن يكلمه الله إلا على أحد ثلاثة^(٤) أوجه:

- (١) لسان العرب مادة (وحي) والقاموس المحيط مادة وحي.
- وانظر تفسير الرازي والفُرطبي والبيضاوي في مواضع الآيات المذكورة ومفردات الراغب مادة (وحي)، وذكر القاضي عياض في الشفاء ج ١ ص ٢٥٢ قولين في أصل الوحي: أولهما الإسراع ومنه تلقى النبي لأنه على عجل ومنه الإلهام. ومنه الخط لسرعة حركة اليد... وثانيهما السر والإخفاء ومنه الإلهام وإيحاء الشياطين أي وسوستهم.
- (٢) متاعل العرفان ج ١ ص ٥٦.
- (٣) الإتقان ج ١ ص ٤٤.
- (٤) قال الإمام الرازي في تفسير هذه الآية ج ٢٧ ص ١٨٧: (واعلم أن كل واحد من هذه الأقسام الثلاثة وحي، إلا أنه تعالى خصص القسم الأول باسم الوحي لأن ما يقع في القلب على سبيل الإلهام، فهو يقع دفعة، فكان تخصيص لفظ الوحي به أولى. فهذا هو الكلام في تمييز هذه الأقسام بعضها عن بعض).

الوجه الأول: وحيًا.

أي: إما عن الوحي وهو:

أ - الإلهام والقذف في القلب: كما أوحى الله إلى أم موسى أن أرضعيه، ومنه قوله ﷺ: «إن روح القدس نفث في روعي^(١): إن نفساً لن تموت حتى تستكمل أجلها وتستوعب رزقها...».

ب - الرؤيا في المنام: كما أوحى الله إلى إبراهيم بذبح ولده إسماعيل، ومنه مبدأ وحي النبي محمد ﷺ الرؤيا الصالحة في النوم، وكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، كما جاء في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري ومسلم في باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ.

الوجه الثاني: أو من وراء حجاب.

أي وإما على أن يُسمعه كلامه من غير واسطة مبلّغ.

كما أسمع الله تعالى موسى كلامه من غير واسطة.

وكذا الملائكة الذين كلمهم الله تعالى في خلق آدم ﷺ.

الوجه الثالث: أو يرسل رسولا.

أي وإما على أن يرسل إليه رسولا من الملائكة، فيبلغ ذلك الملك ذلك الوحي إلى الرسول البشري. ورسول الملائكة هو جبريل ﷺ^(٢).

ولنزول جبريل ﷺ على الرسول محمد ﷺ أساليب مختلفة هي:

أ - أن يأتي إلى النبي ﷺ على صورته الحقيقية الملكية.

ب - أن يأتي إلى النبي على صورة رجل فيكلمه، كما في صحيح البخاري^(٣): «وأحيانا يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني، فأعي ما يقول» وزاد أبو عوانة في صحيحه: «وهو أهونه علي».

فيراه الحاضرون ويستمعون إليه، كما في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم^(٤)

(١) الروع (بضم الراء) العقل والقلب. والحديث رواه أبو نعيم في الجلية عن أبي أمامة، وهو ضعيف/ الجامع الصغير ج ١ ص ٩٠.

(٢) انظر تفسير الرازي ج ٢٧ ص ١٨٦ وتفسير القرطبي ج ٨ ص ٥٨٧٣ وروح المعاني للآلوسي ج ٢٥ ص ٥٤ وزاد المعاد ج ١ ص ١٨ والإنفاق ج ١ ص ٤٤.

(٣) صحيح البخاري - كتاب بدء الوحي ج ١ ص ٢.

(٤) صحي مسلم - أول كتاب الإيمان ج ١ ص ٣٦.

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم، إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يُرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبي ﷺ، فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه وقال: «يا محمد أخبرني عن الإسلام...» إلخ. وكان قد سأل النبي ﷺ عن الإسلام والإيمان وإمارات الساعة، ورسول الله ﷺ يحبيه، حتى إذا انتهى من أسئلته وذهب، قال رسول الله ﷺ: «فإنه جبريل عليه السلام، أتاكم يعلمكم دينكم».

ج - أن يأتي إلى النبي ﷺ خفية دون أن يراه أحد، فيظهر عليه أثر التغير والانفعال.

والرسول ﷺ يصف حالته عند الوحي فيقول: كما في صحيح البخاري: «أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس، وهو أشده علي، فيفصم عني، وقد وعيت عنه ما قال». قال الخطابي:

والمراد إنه صوت متدارك يسمعه، ولا يتثبت أول ما يترج سماعه، حتى يفهمه من بعد ذلك.

والحكمة في تقدمه: أن يفرغ سماعه للوحي، فلا يبقى فيه مكاناً لغيره.

وفي الصحيح كما تقدم آنفاً أن هذه الحالة أشد حالات الوحي عليه.

قيل: إنه إنما كان ينزل هكذا، إذا نزلت آية وعبد أو تهديد^(١).

وسبأتي كلام آخر عن أحوال النبي ﷺ عند الوحي، وذلك عند الكلام عن الوحي (الوحي أمر خارج عن النفس) بعد قليل.

كيفية الوحي ونزوله على النبي

العلم بكيفية الوحي سر من الأسرار التي لا يدرك كيفيتها العقل، وسماع الملك من الله تعالى ليس بحرف أو صوت، بل يخلق الله تعالى للسامع علماً ضرورياً، فكما أن كلامه تعالى ليس من جنس كلام البشر، فسماعه الذي يخلقه لعبده ليس من جنس سماع الأصوات^(٢).

(١) الإتيان وزاد المعاد السابقان وإرشاد الساري شرح البخاري ج ١ ص ٥٨ والنووي على صحيح مسلم بهامش إرشاد الساري ج ٩ ص ١٨٣.

(٢) إرشاد الساري ج ١ ص ٥٩.

ولنزول الوحي على النبي طريقتان :
أحدهما : أن النبي ﷺ انخلع من صورة البشرية إلى صورة الملكية، وأخذه من
جبريل .

وثانيهما : أن الملك انخلع إلى البشرية حتى يأخذه الرسول منه ^(١) .
وفي الحالتين صعوبة وشدة على الجيلة البشرية، لذلك كان يحدث في تلك
الحالة غيبة وغطيط ^(٢) .

وصورة اندماج النبي بالملك يمكن أن يتصورها الذهن، حين يتصور التنويم
المغناطيسي، الذي كشفه الدكتور مسمر الألماني في القرن الثامن عشر، وأقام عليه
البراهين، حتى اعترف به العلماء علمياً، بعد أن اختبروا الآلاف من الخلق، وله في
الغرب أنصار كثيرون، وله دور وكتب ومستشفيات يؤمها الناس للتداوي به .

وفيه يسيطر الأستاذ المنوم على الوسيط بإيحاءاته، فيغط الوسيط بنومه، فيسأله
عما يريد، فيجد الجواب حاضراً، وقد يأمره أو ينهاه، فينفذ الوسيط ذلك ولو بعد
صحوه . ولا بد أن يكون بين نفسين مختلفي الطبائع إحداهما أقوى إرادة من
الأخرى، فلا يستطيع امرؤ أن يقوم بهذه التجربة على نفسه .

فالتنويم المغناطيسي يقرب أمر الوحي، فاتصال الملك بالرسول يؤثر به
لاستعداد خاص فيهما، ففي الملك قوة الإلقاء والتأثير لأنه روحاني محض، والثاني
فيه قابلية التلقي عن هذا الملك، لصفاء روحانيته وطهارة نفسه المناسبة لطهارة
الملك، وعند تسلط الملك ينسلخ الرسول عن حالته العادية، فيظهر التغير عليه،
فيتلقى من الملك، وينطبع في قلبه ما تلقاه، حتى إذا انجلى عنه الوحي، وجد ما
تلقاه منقوشاً على قلبه، لا ينساه ^(٣) .

ثم إننا لم نجد ما يدفع هذا الاتصال بين الملك والنبي، بدليل :
إن العلم الحديث يسر لنا الأجهزة العلمية، التي أدركنا بها ما كان مجهولاً من
قبل . فمن هذه الأجهزة ما سجل تصادم الأشعة الكونية في الفضاء، ومنها ما يدلنا

(١) الإتيان ج ١ ص ٤٣ والوحي المحمدي ص ٨٣ وفيه قول ابن خلدون، وإرشاد الساري ج ١ ص ٥٩ .

(٢) إرشاد الساري ج ١ ص ٦٠ .

الجيلة : الخلقة .

(٣) مناهل العرفان ج ١ ص ٥٩ - ٦٠ وفيه أمثلة عن تجارب التنويم المعاطيسي، والنبأ العظيم ص ٧٥ -
٧٦ .

على صوت ذباب طائر على بُعد بضعة أميال، وكأنه يطير عند أذنك . وهذه الآلات الحديثة تستطيع إدراك ما لا يمكننا سماعه بالطرق السمعية التقليدية .
وهذه الطاقة غير العادية للسمع لا تخص الآلات العلمية الحديثة، وإنما وهبها الله تعالى بعض الحيوانات .
فالكلب يستطيع أن يشم ريح الحيوان الذي مرّ من الطريق، وقد استغلت هذه الحاسة لكشف المجرمين، فالقفل الذي كسره اللص يشمه الكلب المدرب، ثم يقتفي أثره، فيميزه من بين الآلاف .
وحشرة (العُتَّة) مجنّحة، لو وضعتها على نافذة فسُتحدث صوتاً يسمعه زوجها على مسافة بعيدة جداً، ويجيئها الزوج بطريقته الخاصة .
والجُنْدُب يحك رجليه وجناحيه، ويصوّت بطريقة غير عادية، ويسمع على بُعد نصف ميل .
ولأبني النطيط قدرة خارقة، فهو يسمع ويحس بالحركة التي تحدث في نصف قطر من ذرة الهيدروجين . . .
وهناك أمثلة أخرى كثيرة تدل على أن هناك وسائل غير مرئية لدى ذوي الحواس الخاصة، وإذا كان الأمر كذلك فلا غرابة في ادعاء النبي أنه يسمع صوتاً من ربه لا يدركه عامة الناس، ما دام من الممكن أن توجد في هذا العالم حركات وأصوات لا يسمعها الإنسان، ولكن تسجلها الآلات، وما دامت هناك رسائل تدركها حيوانات دون أخرى^(١) .



الوحي أمر خارج عن النفس

الاعتقاد بالوحي هو الأساس الذي يبنى عليه الاعتقاد بالنبوات، وهي الطريقة التي جاءت بها العقائد والأحكام الشرعية وغيرها .
لذلك اهتم كثير من أعداء الإسلام بإثارة الشكوك حول الوحي مقتفين أثر جهلاء قريش، وسفهاء المشركين في ادعاءاتهم الملفقة الكاذبة حول الرسول الأعظم ﷺ، حين قالوا عنه: إنه ساحر أو مجنون أو شاعر .

(١) الإسلام يتحدّى ص ٩٦ - ٩٧ .